مجلة ربع سنوية علمية محكمة

3-حركات التحرر الكوردية في العراق1914-1980

Kurdish liberation movements in Iraq1914-1980

بقلم الطالب : أحمد عبد القادر عثمان

طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ
AhmadOthman4090@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024 /8/16 تاريخ القبول: 2024 /9/4

ملخص البحث:

من عقود طويلة والشعب الكوردي يناضل بصيغ شتى من اجل التمتع بحقوقه المشروعة وحريتة وكرامته على أرضه ،ورغم تصاعد أصوات الحركة الكوردية في فترات مختلفة إلا انها كانت تنتهي بالفشل بسبب الصراعات الداخلية بين العشائر او بسبب سلطات الاحتلال. كانت السياسية العراقية تجاه الاكراد مختلفة كلياً، عن باقي اجزاء كوردستان حيث خاض الكورد نضالا عنيفاً وطويلا من اجل حقوقهم العادلة والمشروعة وتم الإقرار بالوجود الكوردية مع بداية تاسيس الدولة العراقية المعاصرة التي اعطت عام ١٩٣٢ تعهدا مكتوباً لعصبة الامم باحترام الاختلاف الكوردي والسماح باستخدام اللغة الكوردية في المجالات التعليمية والقضائية في المناطق التي يشكل فيها الكورد أغلبية السكان ونتيجة لذلك اخذت الحركة الكوردية تتطور في العراق بشكل مغاير عما كان جارياً في تركيا وايران .

الكلمات المفتاحية : كوردستان، كوردستان الجنوبية، محمود الحفيد ، عشيرة البارزاني، طريقه النقشبندية

Summary:

For decades, the Kurdish people have struggled with various means to achieve their legitimate rights and liberties. Despite the fact that the voices of the Kurdish movement were at times raised and at other times subdued due to internal conflicts or because of the authorities' oppression or negligence, Kurdish life in Iraq remained stable and its identity fully preserved. The Kurds specifically have fought tirelessly to secure their rights and secure acknowledgment of the Kurdish presence in the nascent Iraqi state, especially after 1932 when Iraq gained independence. However, the continued denial of Kurdish rights in official institutions and the absence of meaningful participation in political life led to Kurdish uprisings. Most Kurds were part of these conflicts, and as a result, the Kurdish movement in Iraq evolved considerably, particularly due to pressures from neighboring Turkey and Iran

Keywords: Kurdistan, Southern Kurdistan, Mahmoud Al-Hafid, Barzani clan, Naqshbandi order

أولًا: مساحة كوردستان العراق

إقليم كوردستان العراق، أو ما يعرف بكوردستان الجنوبية هو ذلك الجزء من كوردستان الواقع في حدود دولة العراق الذي تكّون بعد الحرب العالمية الأولى. هو إقليم جبلّي تسكنه أغلبية كوردية، ولكنه متعدد القوميات والأديان، وهو ما يميزه عن باقي مناطق العراق.

تمتاز كوردستان العراق بأهمية موقعها الجغرافي، تحتضن جبالها سهولاً خصبة وترويها أنهار عديدة أهمها دجلة والفرات، وتكثر فيها العيون والأنهار الصغيرة والجداول.

من الناحية القانونية والإدارية، تم انتخاب برلمان كوردستان العراق بمشاركة مختلف المكونات القومية والدينية (كورد، تركمان، عرب، أرمن، أشور، كلدان، الايزيدية، الكاكايين، المسيحية والإسلام)

أ – تعداد الكورد في العراق

يقدّر قاموس أثر المعارف الإسلامية **(جواد ع.، 1313)** حسب أحصاء سنة 1341_ 1342 هـ 1923 _1924 م، التعدد العام للأكراد في ولاية الموصل القديمة بـ 494.007 نسمة فقط. والحالة الاثنوجرافية لهؤلاء الكورد موضحة في التقرير الذي وضعته لجنة الاستفتاء الموفدة من قبل عصبة الأمم إلى ألعراق في سنة 1925 م في الخريطتين (رقم 6 _ 8) المرفقتين به، كما أن كيفية توزيع السكان الكورد في هذه الولاية التي هي عبارة عن الألوية الأربعة الشمالية الملحقة بالعراق حسب توقعات هذه اللجنة كما يلي:

في داخل لواء الموصل 83.000 نسمة.

في داخل لواء أربيل 170.650 نسمة.

في داخل لواء كركوك 47.500 نسمة.

في داخل لواء السليمانية 189.900 نسمة.

فيكون المجموع 496.050 كورديا «تقرير اللجنة (95–93)»

وقد قدر الموظف الرسمي البريطاني سيرجون إدموندس، وهو أحد الخبراء البارزين في المسألة الكوردية في خمسينيات القرن الماضي، عدد سكان الكورد في العراق على نحو دقيق ومفصل. وقدم تحليلاً حسب النواحي والأقضية والألوية للبلاد برمتها على أساس التعداد العام للسكان في عام 1947، وقد بين أن عدد الكورد في العراق يمكن تقديره بدقة، بمليون ومئة ألف، وهم يشكلون من خمس إلى سدد عدد السكان الإجمالي في البلد.

وتضم كوردستان الجنوبية محافظات العراق الشمالية (السليمانية وكركوك وأربيل والموصل وجزء من محافظة ديالى يضم بدرة ومندلي).

وقد ورد في كتاب (مفصل جغرافية العراق) للفريق الأول طه الهاشمي (1888_ 1961) رئيس أركان الجيش العراقي ورئيس الوزراء العراقي الأسبق والأخ للزعيم السياسي ياسين الهاشمي « أن ولاية الموصل كانت تنقسم قبيل الحرب الكبرى إلى

ثلاث متصرفيات:

1. متصرفية الموصل.
2. متصرفية شهرزور مركزها كركوك، وأقضيتها ستة وهي كركوك وأربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري.
3. متصرفية السليمانية. **(الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936، 1960، صفحة 94)**.

أما جلال الطالباني فذكر نقلاً عن فائق السامرائي بحثًا أيام التجائه إلى القاهرة في عهد عبد الكريم قاسم [1] أكد فيه حقيقة إن حدود كوردستان جنوبية هي جبل حمرين الواقع جنوب كركوك بعشرات الأميال. فقد كتب الأستاذ السامرائي عن حدود كوردستان يقول «أن كوردستان تعني بأوسع معانيها البلاد التي يسكنها الأكراد كمجموعة موحدة متجانسة من الناس. وتنقسم هذه البلاد ما بين العراق وتركيا وايران مع بعض الامتداد في الاتحاد السوفياتي وسوريا فمن الشمال تسير حدوده بصورة تقريبية خلال بريفان وارضروم وازربيجان أي بقوس تدخل ضمنه مرعش حتى حلب، ومن الجنوب الغربي تسير بمحاذاة سفوح التلال حتى نهر دجلة ثم بعد ذلك شرقي هذا النهر إلى الأسفل ومن بعد ذلك يعرج شمالًا مع خط جبل حمرين حتى مندلي على الحدود العراقية الإيرانية، ويبين الأستاذ السامرائي أيضًا أن التركمان والنسطوريين يعيشون أيضًا في كوردستان ويشير إلى وجود التركمان في كركوك وطوزو كفري وأربيل وتلعفر **(الطالباني، 2022، صفحة 35)**.

أما المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسيني: فيقول عن حدود كوردستان الجنوبية كما يلي «يقطن الأكراد مدنًا وقرى تبتدئ من الحدود الإيرانية العراقية على خط مستقيم يمتد

1 – عبد الكريم قاسم (1914–1963) رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع في العراق في 14 تموز 1958 ولغاية 9 شباط/فبراير 1963 حيث أصبح أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي. كان عضوا في تنظيم الضباط الأحرار. ساهم في التخطيط لحركة 14تموز التي نفذها زميله عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي. وهو –قاسم– عسكري عراقي عرف بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كانت ينتمي لها. شارك في حرب فلسطين واستمر حكمه لمدة (4) سنوات و(6) أشهر و(15) يومًا. تم إعدامه من خلال محاكمة صورية يوم 9 شباطافبراير 1963. نزيه ومستقيم في حياته، ولم يشيد قاسم القصور له ولذويه. وكانت المحاكمات لمنافسة علنية وعبر التلفزيون العراقي، اتهم بعد فسح المجال للإسهام معه بالحكم والتفرد بالسلطة حيث كان يسميه المقربون (الزعيم الأوحد) **(جبران، 2008، الصفحات 363–362)**

من جبل حمرين حتى جبل سنجار حتى تتصل بالحدود العراقية السورية» (**الحسيني، 2013، صفحة 37**).

وبعكس الافتقار إلى الثروة المعدنية، تمتلك كوردستان الجنوبية إحدى أغنى حقول النفط في العالم، ففي تخومها الجنوبية تشمل هذه الحقول مدينة كركوك وهناك حقول أخرى في الشمال عين زالة وبطمة وأبار عديدة في مناطق أخرى. ولكن حقول كركوك أغناها وهي المحافظة التي بناها الأكراد وكانت المنطقة موطن الكوتيين الذين سكنوها قبل نزوح العرب إلى جنوب العراق. وقد رسم المؤرخ الكوردي أمين زكي بك خريطة المناطق التي تسكنها أغلبية كوردية مطلقة نشرها في كتاب تاريخ الكورد وكوردستان.

ب – مساحة كوردستان العراق جغرافيًا

في العراق لا توجد اختلافات كبيرة بين تقديرات الكورد أنفسهم، وتقديرات الحكومة، لأن العراق بلد متعدد القوميات والأديان بالإضافة إلى القومية الرئيسية لسكانه هي القومية العربية. وتليها القومية الكوردية تمثل الاولى يمثل 80% من السكان، بينما تمثل الثانية حوالي 16% من السكان (**عيسى، 1991، صفحة 6**).

وبحسب تعداد عام 1957 م كان التوزيع القومي لسكان العراق كالآتي:

النوع	1957	النسبة
العرب	5,040,000	80%
الكورد	1,060,000	17%
أخرون	337,000	3%

وفي عام 1965 م بلغ عدد سكان العراق حوالي 8,320,709 نسمة (**republic of iraq ministry of planning, 1965, p. 20**)

أما في إحصاءات عام 1980 فقد بلغ عدد العراق حوالي 12,330,000 نسمة وبلغ مجموع السكان الكورد منهم حوالي 2,091,000 نسمة وذلك حسب نظر الإحصاءات الرسمية العراقية، كما أن هذا التقدير يقترب من تقدير ماك لورين، الذي قدر عدد كورد العراق بحوالي 20% من سكان العراق، ليصبح عددهم بناء على ذلك في عام 1980 حوالي 2.466.000 نسمة.

وقديمًا جاء في كتاب شرفنامه الفارسي أن عدد الأكراد يبلغ سبعة ملايين منهم 500.000 في العراق.

أما الإحصاء الذي ورد في كتاب «المسألة الكوردية تجاه الترك» فيؤكد أن عدد الأكراد قبل الحرب العالمية العظمى (الأولى) قد بلغ أكثر من خمسة ملايين نسمة منهم 749,380 نسمة في العراق.

وجاء في كتاب كوردستان أمة مقسمة في الشرق الأوسط بقلم س.س جافان والذي راجعه وقدم له الأمير كميران عالي بدر خان أحد أمراء الأكراد، أن عدد الأكراد في العراق في إحصاء سنة 1957 1.500.000 نسمة وفي إحصاء آخر كانت قد نشرته مجلة Sovietskaia Einografia التي تصدر في موسكو بقلم س.ا. بروك، قدرت المجلة عدد الأكراد بخمسة ملايين نسمة حسب إحصاء 1952 منهم 900,000 نسمة في العراق (**Einografia, 1955**).

ثانيًا: الحركة الكوردية في كوردستان الجنوبية في القرن العشرين:

ساهمت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كان يعيشها الكورد، في تحفيز وإثارة مشاعرهم القومية، وقد وصلت هذه المشاعر قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى حد مطالبتهم في النشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية بالاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، أو الحصول على نوع من الحكم الذاتي ولم تستطع الإجراءات التي تبنتها الحكومة العثمانية أن تقف في وجه التململ والعناد الكوردي المتزايد. حيث اندلع الصراع العنيف بين الحكومة العثمانية التي أرادت إحكام طوق العبودية، وشد قيود الاحتلال في أعناق وأيادي الشعب الكوردي بقوة الحديد والنار، وبين القوى الكوردية التي أرادت التحرر (**الطالباني، 2022، صفحة 73**). فكانت الشرارة الأولى للثورة الوطنية الكوردية في بداية القرن العشرين وكان الاضطهاد القومي سببًا أيضًا في إيقاظ الشعور القومي في نفوسهم. ويتحدث الطالباني نقلًا عن أرشاك سافرا ستيان في كتابه الأكراد وكوردستان عن ان الإصلاحات التي أراد السلطان إدخالها على الإدارة وفرض المركزية على مناطق كوردستان حددت مصالح الأمراء والمتنفذين الأكراد، كما يشير إلى رغبة الأكراد في عدم دفع الضرائب ورغبتهم في حكم مناطقهم حسب هواهم وإرادتهم (**الطالباني، 2022، صفحة 75**). على سبيل المثال، حاولت الحكومة العثمانية

في نهاية عام 1910 جمع الضرائب من عشيرة لجاف[1]، القبيلة الأقوى في جنوبي كوردستان، التي لم تدفعها منذ بدء حركة تركيا الفتاة. ودعي الزعيم البارز محمود باشا إلى الموصل، واحتجز هناك قرابة العام، ثم أطلق سراحه في النهاية، إلا أن المسألة لم تُسوّ على نحو مرضٍ، وفقًا للونكريك انه في أثناء فترة ولاية ناظم باشا على بغداد، انتقل محمود باشا إلى بغداد حيث استقبل بالحفاوة والتكريم **(لونكريك، 1953، صفحة 57)**.

وفي عام 1912 احتجز مصطفى باشا وهو زعيم كورو باجلان في منطقة خانقين في بغداد، وذلك إثر الارتياب في قبوله المساندة من البريطانيين بوصفه مشتبهًا به سياسيًا، ولم يكن محتملًا أن تتغاضى

روسيا، جارة تركيا، وعدوتها، عن تململ الكورد وزيادة اغترابهم، فإنه منذ مطلع القرن العشرين والروس يتابعون ويسعون منذ عدة أعوام إلى كسب الكورد إلى جانبهم مع درجات نجاح متباينة[2].

والجدير بالذكر أن الحركة الوطنية الكوردية في بداية القرن العشرين دخلت مرحلة جديدة هي مرحلة نشر الوعي التقدمي عن طريق الصحافة والتنظيمات السياسية والثقافية، وبرزت المحاولات لكسب ومساندة وجاف الروس. ففي ربيع 1914 أشيع أن قبائل هماند وجاف وذرة بي، على الرغم من حصولهم على الإصلاحات من الحكومة العثمانية فقد كانت مستعدة لطلب المساعدة من الروس. كذلك فإنه الروس قاموا بدور بارزٍ في ثورة عبد السلام شيخ قبيلة بارزان.

وفي هذا الخصوص يذكر الأمير الكوردي عبد الرزاق بدرخان (الذي أعدمه الجيش التركي في عام 1918) في مذكراته أنه أسس بالتعاون مع روسيا في مدينة (خوى) في أقصى شمال غربي إيران مدرسة ضمت ثلاثين طالبًا كورديًا، مشيرًا إلى أنه كان على اتصال عن طريق الرسائل مع شيخ بارزان» **(جليل، 2000، صفحة 24)**.

1 – عشيرة كوردية كثيرة العدد، وهي من أكبر القبائل الكوردية بكوردستان الجنوبية والشرقية وأكثرها بطونًا وفروعًا، ويظهر أنها لم تكن معروفة باسمها هذا خلال العهود التي سبقت ضم هذه البلاد إلى الدولة العثمانية (المصدر: كتاب ودراسات وثائقية في تاريخ الكورد الحديث وحضارتهم عماد عبد السلام رؤوف، ص 2.

2 – ووفقًا للونكريك أيضًا، دعا وجهاء الكورد إلى روسيا، حيث استقبلوا استقبالًا حسنًا انظر لونكريك، العراق، 1900–1950، ص 58.

1 - انتفاضة عبد السلام بارزان (1914-1909)

لعل أبرز زعيم كوردي كان على الحكومة العثمانية أن تتعامل معه أثناء هذه الفترة هو الشيخ عبد السلام الثاني زعيم قبيلة بارزان. كان صراع الشيخ عبد السلام مع حركة تركيا الفتاة تتويجًا للصراع بين شيوخ بارزان والسلطات العثمانية.

كذلك عدت حركة الشيخ عبد السلام البارزاني تحديًا كبيرًا لسلطة الاتحاديين في كوردستان، لأنها اتخذت الإسلام والجهاد وسيلة في مقارعة السلطة المركزية العثمانية، التي كانت لا تزال تستمد شرعيتها من الإسلام.

وكان لا بد أن تقاوم الحكومة بحزم محاولات شيوخ بارزان المتسمة بالتصميم على فرض هيمنتهم على منطقة بارزان- زيبار في وقت نجح فيه الترك عمومًا في قمع الإمارات الكوردية القوية **(جويدة، 2013، الصفحات 273-272)**

يرى الباحثون أسبابًا مختلفة للصراع بين الشيخ عبد السلام وبين الحكومة العثمانية «ويعزو الدملوجي الصراع إلى دسائس آغوات قبيلة زيبار، الأعداء التقليديين لشيوخ بارزان، بعد أن تكلف آغوات زيبار سلسلة هزائم ساحقة على أيدي البارزانين، التزام آغوات زيبار بتحريض الحكومة ضد خصومهم الأقوياء. (الدملوجي، 1952، صفحة 80). واستنادًا إلى الدملوجي فإنه بمساعدة الموظفين المحليين العثمانيين، استطاعوا في ختام المطاف تحريض الحكومة ضد شيوخ بارزان. كما أنه يذكر عاملين آخرين ساعدا في تصعيد الصراع، هما: كره التطرف الديني البارزاني ونمو النزعة القومية. ولا ريب أن هذه النزعة قد شددت موقف عبد السلام حيال حركة تركيا الفتاة وأقنعت نظام تركيا الفتاة باتخاذ إجراءات صارمة ضده **(جويدة، 2013، صفحة 274)**

ويرى جياووك بأن سبب صراع عبد السلام مع الحكومة كان محاولتها إجراء تعداد شامل للسكان والمواشي في منطقة بارزان لذلك عمل الشيخ وشعبه جاهدين في معارضة هذه الإجراءات، التي أدت في النهاية إلى صراع مسلح مع الحكومة **(جياووك، 1954، الصفحات 56-55)**.

ولا شك أن أيًا من كل هذه العوامل، ساعدت بلا شك في نشوب الأعمال العدائية بين الحكومة وبين الشيخ عبد السلام كذلك كان العداء المستحكم المزمن بين أغوات

زيبار وشيوخ بارزان حقيقة تاريخية استمرت حتى الوقت الحاضر في تسميم العلاقة بين الأسرتين **(البريفكاني، 1953، صفحة 7)**.

كانت الحصيلة المفجعة لهذا الصراع، مهما كانت أسبابه، التأثير في سير الأحداث في منطقة بارزان فترة أطول بعد توقف الترك عن السيطرة هناك.

حيث نزع البارزانيين إلى مزج دعوتهم الدينية الصوفية بأفكار التحرر القومي والاجتماعي. فتحولت بارزان في بداية القرن العشرين، في خضم هذه التفاعلات، إلى ثورة ناشطة للحركة الكوردية.

أ – النشاط العسكري والسياسي للشيخ عبد السلام البارزاني:

تسلم الشيخ عبد السلام بارزاني (1882–1914) المشيخة الصوفية النقشبندية في بارزان في عام 1903 بعد وفاة والده الشيخ محمد.

يرى باحثون مختصون في الشأن الكوردي أن الشيخ عبد السلام هو الباني الحقيقي لدور عشيرة بارزان على صعيد الزعامة السياسية ويشير هؤلاء عند حديثهم عن شخصية البارزاني إلى أنه تمتع بذكاء حاد وأفق سياسي واسع واهتمام لافت بنشر العلم وفتح المدراس **(اسماعيل، 1998، صفحة 15)**.

بدأ الشيخ عبد السلام نشاطه السياسي مدافعًا عن الحقوق الوطنية الكوردية في عام 1907 حين حضر مؤتمرًا لشيوخ الكورد ورؤسائهم بقيادة الشيخ محمد نور القادري في مدينة دهوك، وكان الشيخ وراء صياغة الوثيقة التاريخية التي صدرت عن ذلك المؤتمر.

كذلك يذكر كريم أحمد السكرتير العام للحزب الشيوعي الكوردستاني الذي كتب عن تلك الفترة فيشير إلى أن الشيخ عبد السلام أقام علاقة سياسية مع الفرع الكوردي لمنظمة تعالي وترقي وجمعية هيفي الكورديتين **(شورش، 2001، صفحة 38)**.

كذلك لم يقتصر في نشاطاته على قوة عشيرته المعروف بطاعتهم البالغة لشيوخهم واستعدادهم الدائم للعمل وتنفيذ الأوامر **(شورش، 2001، صفحة 38)**. بل الأرجح أنه بحث عن وسائل أخرى تمكنه من توسيع دائرة حركته لتشمل عشائر ومناطق كوردية أخرى وربما يرجع السبب لذلك بسبب اتساع الحملات التركية ضد الأكراد ومن جانب أخر وجدت السلطة العثمانية التي كانت تعمل على تطويع الأكراد في تحركات الشيخ

البارزاني إشارة إلى تصاعد دوره السياسي وتعاظم نفوذه بين العشائر من جهة، ومن جهة أخرى خروجه عن الطاعة العثمانية. لهذا سارعت إلى تبني الخيار العسكري والتي توجت بإرسال قوة عسكرية كبيرة بقيادة الفريق محمد فاضل الداغستاني لمهاجمة بارزان.

يعطي الأستاذ (بي ره ش) تفاصيل دقيقة عن العمليات العسكرية التي وقعت في منطقة بارزان في الفترة (1914–1908). فهناك عدة محطات مهمة في هذه المواجهات، منها معركة بيرس الأولى في خريف عام 1908. وقعت هذه المعركة بعد أن استدعى الفريق محمد باشا الداغستاني، الشيخ عبد السلام إلى الموصل للتحقيق معه فرفض هذا الأخير ذلك، فأعلنت الحكومة الحرب عليه متهمة إياه بشق عصا الطاعة، واتصاله بدولة أجنبية (قد تكون روسيا) للقيام بحركة انفصالية، حشد القائد التركي فاضل باشا فوجين من القوات النظامية والأسلحة الرشاشة والمدافع وساعدت الحكومة قوات المرتزقة من الزيباريين ريكان، ومامش، ومنكور، خوشناو، ونيروى، وهورماري كتروي، وبيرة سني، وهركي، وكان هناك نفير عام في كوردستان، بشن هجوم من عدة محاور ضد اتباع الشيخ عبد السلام **(علي، 2011، صفحة 257)**.

بعد مقاومة قام بها الشيخ واتباعه كبدت قوات فاضل باشا الكثير من الاضرار، اضطر الشيخ إلى الاختفاء في المناطق الجبلية الوعرة وطلب من قواته عدم المقاومة والعودة إلى بيوتهم، وتعد معركة (سه رى باز) في ربيع 1909 المحطة الأخيرة المهمة في الصراع، خرج الشيخ من مخبئه، وبدا يجمع أعوانه من جديد للتصدي للحكومة، وكان هذه المرة هناك خلاف بين العقيد صفوت – القائد العسكري، في الموصل الراغب يحل المسألة بطريقة سلمية– وبين الوالي فاضل باشا الداغستاني المصر على الحل العسكري وقعت القوات الحكومية هنا في فخ كبير حيث قتل الكثير من الجنود والضباط وغنم البارزانيون ثلاثة مدافع وكمية كبيرة من السلاح والعتاد. كان من نتائج هذه المعركة أن ذاع صيت الشيخ في الأجواء الرسمية والشعبية وأرادت الحكومة أن تعقد صلحًا معه، ويقال أيضًا أن الحكومة برأت ذمة الشيخ عبد السلام من التهم الموجه إليه من الأغوات. فعاد الشيخ عبد السلام إلى بارزان والإمارة البارزانية أكثر قوة وأعطى الشيخ عبد السلام وسام الدولة العثمانية من الدرجة الثالثة. **(علي، 2011، الصفحات 258–257)**

في عام 1914 أصبح سليمان نظيف واليًا على الموصل، وذلك بعد انقلاب الثالث للاتحاديين وسيطرتهم على الحكم من جديد في عام 1913، ويبدو أن الوالي الجديد، الذي كان من أعضاء حركة تركيا الفتاة المتحمسين، وكان مصممًا على القضاء على كل من عارض أفكار النظام الجديد وسياساته.

ولا شك أن وجود رجل مثل الشيخ لا مكان له في مخطط الأشياء الجديدة لذلك أراد القضاء على مشيخة بارزان وإمارتها، وطلب من الشيخ عبد السلام المثول أمامه في الموصل، وحيث رفض الشيخ طلبه، جهز جيشًا كبيرًا ضده، مع قوات المجنديين القبليين للقبض عليه وبعد مقاومة عنيفة في معركة «بله» أدرك الشيخ أن القوات الحكومية، والعشائر الموالية لها تحاصر قواته، فقرر الشيخ عبد السلام الانسحاب إلى المناطق الحدودية مع إيران، وبعد وصوله إلى إيران، سافر الشيخ عبد السلام إلى تفليس أذربيجان.

ويبدو أن هذا الانتقال إلى الجانب الإيراني من الحدود لم يأتي هربًا من العثمانيين فحسب، إنما مثل محاولة جديدة للشيخ لاستغلال وجوده في مناطق قريبة من الحدود الروسية للاتصال بالسلطات الروسية برفقة حليفه سمكو آغا. وبالفعل استطاع الشيخ مقابلة القيصر الروسي وبحث معه إمكانية دعم الأكراد في نضالهم القومي.

وربما كانت هذه الاتصالات في حقيقتها هي أولى المحاولات الجدية في تاريخ النضال القومي الكوردي لإخراج الحركة الكوردية من إطارها المحلي: إلى الدعم الدولي ورغم تجنب الروس تقديم دعم ملموس للشيخ وذلك بسبب تطلعها لإقامة حلف عسكري معها ضد دول الحلفاء.

إلا أن هذه الزيارة أثارت مخاوف الاتراك لذلك قررت التخلص من الشيخ وإنهاء إمارة بارزان ويذكر زبير بلال إسماعيل أن المخابرات التركية كانت ترصد حركات الشيخ عبد السلام، وعلمت برحلته إلى تفليس ومقابلته بعض المسؤولين الروس، لأن المنطقة التي استقر فيها الشيخ مع أنصاره، لم تكن بعيدة عن الحدود التركية **(اسماعيل، 1998، صفحة 62)**.

ب – القبض على الشيخ عبد السلام وإعدامه

في أوائل عام 1914، بينما كان الشيخ عبد السلام يسافر في جوار الحدود التركية–الروسية في طريقه لزيارة سمكوا آغا، تربعت به عصابة من رجال قبائل شكاك وأسرته وسلمته إلى والي «وان» على أمل أن تستلم الثمن الذي أعلنته السلطات العثمانية لرأسه. أنظر **(نيكتين، 1964، صفحة 154)**

جلب الشيخ إلى الموصل إذ حكمت عليه محكمة عرفية عسكرية بتوصية من الوالي سليمان نظيف بإعدامه، وجرى حكم الإعدام قبل إصدار موافقة السلطات على القرار. وقام سليمان نظيف بتبرير فوضى داخل الموصل واتهم اتباع الشيخ عبد السلام بكونهم وراء الأحداث، وذلك لتسويغ إعدامه له خلافًا للقانون.

يعد إعدام الشيخ عبد السلام دخلت الحركة القومية الكوردية في مرحلة بالغة التعقيد والحساسية، ويرجع ذلك التعقيد إلى غيوم حرب عالمية كانت تظهر في الأفق في ذلك العام والتي لم يمض وقت طويل حتى اندلعت في 28 تموز 1914 والتي كانت منطقة الشرق الأوسط وكوردستان إحدى أهم ساحاتها وأشدها سخونة.

ثالثًا: كوردستان الجنوبية خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918)

احتلت بريطانيا العراق وكوردستان بفضل موقعها الاستراتيجي، وثرواتها الطبيعية باهتمام متزايد من جانب الأطراف المتحاربة، حيث كانت بلاد ما بين النهرين منطقة مصالح هامة للبريطانيين، فمنذ عام 1913، صرح ونستون تشرشل، بمناسبة تشكيل لجنة ملكية للتدقيق في مصادر النفط قائلًا: (يجب أن نصبح مالكين أو على الأقل مسيطرين على ما نحتاجه من نفط» **(حكمت، 1958، صفحة 756)**.

ومن الواضح إن بريطانيا كان تسمى إلى السيطرة على ولاية الموصل بأي ثمن سوءًا من خلال إنشاء دولة كوردية مستقلة أو بضم ولاية الموصل مع بغداد والبصرة وإنشاء دولة ذات قوميتين تحت سيطرة عربية أو كوردية، المهم أن يكون النفط تحت السيطرة البريطانية ويبدو ذلك واضحًا أيضًا في مقولة كيرزون الشهيرة (أن حدود الهند تقع على الفرات) **(حسين، 1955، الصفحات 311–310)**

في الخامس من تشرين الثاني\ نوفمبر عام 1914 أعلنت بريطانيا الحرب على تركيا وفي اليوم الثالث نزلت القوات البريطانية بنجاح في الفاو بعد مقاومة تركية ضعيفة، ومنها تقدمت حيث احتلت البصرة في 22 نوفمبر عام 1914. **(Atiyyah, 1973, p. 124).**

بذل الكورد في بداية الحرب جهودًا هائلة إلى جانب الدولة العثمانية ضد القوات البريطانية في العراق، حيث قام فرسان كل القبائل الكوردية والعربية بمواجهة القوات البريطانية قبل وصولها إلى الكوفة، وتصدت القوات البريطانية في الشعيبة وكان يقود القوات الكوردية الشيخ محمود البرزنجي على رأس ألف فارس كوردي وقد قتل في معركة الشعيبة كثير من الكورد المشهورين منهم رشيد باشا من أهالي السليمانية والذي كان فيما سبق متصرفًا للواء المنتفك. وبعد أن سقطت بغداد وبدل الإنجليز بدأوا الزحف نحو الشمال في مارس 1917 م أرسل البريطانيون الميجور (سون) الخبير بالشؤون الكوردية إلى خانقين لإجراء اتصالات مع زعماء الكورد **(متولي، 2001، الصفحات 75-74).**

بدأت ملامح الضعف والانهيار تظهر على الدولة العثمانية، الأمر الذي أثار القلق والاضطراب في صفوف الأكراد، كذلك ساءت العلاقة بين الشيخ محمود والعثمانيين على أثر اتهام العسكريون العثمانيون زعماء العشائرية الكوردية بالسلب والنهب الأمر الذي دفعه إلى ترك ميدان القتال والانسحاب بقواته إلى حدود لواء السليمانية. ولقد أرتاب الأتراك في أمره ولكن ظروفهم العسكرية السيئة لم تساعدهم على فتح باب يؤدي إلى إثارة المشاكل لهم **(حلمي، 1975، صفحة 54).**

حاولت القيادة التركية التي تولت مهمة القتال في منطقة الشعيبة- جنوب غربي البصرة- أن تكسب المعركة القادمة في محاولة لاستعادة ولاية البصرة قبل أن تتمدد القوات البريطانية شمالًا وكانت حينها بقيادة سليمان بك الذي انتحر على أثر خسارته لمعركة الشعيبة. في هذه الأثناء وصلت قوة إنجليزية إلى كركوك فقرر الشيخ محمود أن يتصل بالإنكليز القادمين إليها

(ذو النون، 1978، صفحة 263). لمنح ولاية الموصل وفروعها السليمانية، أربيل، كركوك استقلالاً ذاتيًا **(تريب، 2006، الصفحات 72-71).**

فكتب الشيخ محمود بعد مداولات مع رجاله المقربين هذا الأمر وأرسل رسالة سرية إلى ارنولد ويلسون الذي أجاب الشيخ بأنه يرفع اصدار بيان في هذا الشأن (**philips, 1937, p. 155**).

ومع تقدم القوات البريطانية، بدأت بعض العشائر تغير موقعه تجاه العثمانيين وترسخ مفهوم أن يتحول رؤساء العشائر إلى الصف البريطاني. إلا أن تراجع هذا الأخير بعد معركة (سلمان بيك) ثلاثون كم جنوب بغداد، أدت إلى انقلاب العشائر ضده، وربما ذلك لم يكن بسبب كره الغازي الجديد بقدر ما كان خوفًا من بطش الظالم التركي وفي عام 1917 حصلت أحداث مهمة منها سقوط بغداد بيد القوات البريطانية في الحادي عشر من آذار\ مارس منهية بذلك أربعة قرون من الحكم العثماني وأصدر الجنرال البريطاني (مود) بيانًا إلى العراقيين يشرح فيه سياسة بريطاني في العراق مستقبلًا بالقول «إلى أهالي ولاية بغداد أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم كفاتحين، أو أعداء بل كمحررين.

يا أهالي بغداد... لقد أمرت أن أدعوكم بواسطة أعيانكم وأكابركم وممثليكم بأن تشاركوا في إدارة شؤونكم المدنية بالتعاون مع الممثلين السياسيين لبريطانيا العظمى المرافقين للجيش البريطاني، وذلك حتى تتحدوا مع أبناء جلدتكم في الشمال والمشرق والجنوب والغرب لتحقيق مصالح قومكم (**العطية، 1988**).

وهكذا سيطرت القوات البريطانية على العراق منفذة لاتفاقياتها السرية مع الحلفاء وخاصة اتفاقية سايكس–بيكو (1916) بين إنكلترا وفرنسا[1].

أما مدينة الموصل فقد استحوذت على حيز كبير من تفكير الحكومة البريطانية وذلك بسبب الآراء المتباينة حول مستقبل الموصل. ومنها بأن بريطانيا لا تريد أن تكون حدود مشتركة مع روسيا، وهذا تفكير بريطاني، أن تكون الموصل منطقة عازلة (buffer zone) تفصل روسيا عن بريطانيا وقد سعى إلى مثل هذا الاقتراح اللورد كتشنر والسير مارك سايكس (**British Foreign policy, 1919, p. 374**).

1 – كان الروس قد نشروا الوثيقة بعد الثورة البلشفية الروسية عام 1917 لإحراج بريطانيا أمام شركاؤها وكسب رد العرب.

إلا أن الرأي الجديد الذي تبنته بريطانيا بشأن مستقبل الموصل يقضي بسيطرة القوات البريطانية على المدنيهاكتوبر، وهو ما عبر عنه لويد جورج[1] الذي كان حريصًا على جعل الموصل ضمن منطقة النفوذ البريطاني وذلك بالدرجة الأولى لثروتها الكامنة ولا سيما النفط.

وهكذا خرجت الموصل من حصة فرنسا ودخلت تحت النفوذ البريطاني الأمر الذي غير اتفاقية سايكس بيكو **(رزوق، 2014، صفحة 60)**، وفي الثلاثين من تشرين الأول اكتوبر 1918 عقدت الهدنة مع تركيا منهية بذلك أربع سنوات من الحرب **(الموسوي، 2006، الصفحات 97-96)**.

وما يهمنا هنا أن البريطانيين وعلى الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكوردي المشروعة في اتفاقياتهم السرية في سنوات الحرب العالمية الأولى إلا أنهم أشاروا صراحة إلى مصطلح كوردستان وإطارها الجغرافي في المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير بتاريخ 21 تشرين الثانيانوفمبر 1918 حيث ورد نص صريح يبين أن كوردستان العراق تمتد إلى الشرق من نهر دجلة وإلى ما بعد جبل حمرين» **(Public record office, p. 54)**

1- ولد في مانشستر عام 1963 وتوفي عام 1945، وهو احد زعماء حزب الأحرار البريطاني، كان رئيسًا لوزراء بريطانيا أثناء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى، ذاع صيته بوصفه سياسيًا راديكاليًا انظر الموسوعة الحرة. **(Sykes, 1923, p. 249)**